في مقال مهم نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية:

طموح الإصلاح في مواجهة تطرف المعارضة في البحرين

التدخلات الإيرانية السافرة في شئون البحرين عرقلت المسار الإصلاحي والتنموي في البلاد

التيارات الشيعية الراديكالية الفاقدة للشعبية والمدعومة من إيران مالياً ولوجستياً عطلت جهود الإصلاح في البحرين

بقلم: سارة بن عاشور *

منذ حصولها على الاستقلال عن بريطانيا سنة ١٩٧١ ظلت البحرين تبذل قصارى جهدها لبناء دولة حديثة غير أن الثورة الاسلامية الايرانية، التي حدثت سنة ١٩٧٩، قد أرخت بظلالها على البحرين وجعلت الجهود الرامية إلى بناء دولة عصرية المقومات أكثر صعوبة. فقد أدت الثورة الاسلامية الإيرانية إلى تأجيج الحركات التيوقراطية المتطرفة مثل ما يسمى الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين و«حزب الله» شبه الجزيرة العربية.

لقد ظلت إيران تسعى منذ سنة ١٩٧٩ إلى تصدير ثورتها وراحت تمد أخطبوط دعايتها بغية التغلغل في الجماعات الشيعية التي تشكل مكونا من سكان الدول العربية المجاورة وهو ما تسبب في تقسيم المنطقة برمتها على أساس طائفي وزاد في زخم الحركات الشيعية المتطرفة وعقد الجهود الاصلاحية في العديد من هذه الدول. لا شك أن مملكة البحرين هي التي كانت أكثر الدول تضررا من هذه الدعاية الطائفية الايرانية. فقد ظلت الأطماع الإيرانية في مملكة البحرين تزداد منذ سنة ١٩٧٩ وتشكل بالتالي تدخلا سافرا في شؤونها الداخلية.

قد تكون مملكة البحرين دولة صغيرة في مساحتها الجغرافية غير أنها تكتسي أهمية استراتيجية كبيرة وقد ظلت تعبر عن موقفها الثابت والمؤيد للدعوة التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود من أجل الانتقال بمجلس التعاون الخليجي من مرحلة التعاون إلى مرحلة الاتحاد. تمتاز مملكة البحرين أيضا بتركيبتها الديمغرافية المركبة حيث ان نسيجها السكاني يتكون من السنة والشيعة إضافة إلى الأقليتين المسيحية واليهودية.

ظلت مملكة البحرين على مر الأعوام تواجه حلقات متشابهة ومتعاقبة من الأحداث. فقد ظلت الدولة تسعى جاهدة لتنفيذ الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية غير أن التيارات الشيعية الاسلامية الراديكالية الفاقدة للشعبية والمدعومة ماديا ولوجيستيا من إيران كانت دائما تختطف هذه الجهود الاصلاحية على مر الأعوام الماضية. كانت الدولة تنجح في كل مرة في تجاوز الصعاب والتغلب على التحديات لتعيد إرساء الأمن والاستقرار، غير أن ذلك كان يتم على حساب الجهود الاصلاحية.

لقد ظلت هذه الحلقات المتشابهة من الأحداث تتكرر بشكل دوري منذ نشأة الدولة الحديثة والمستقلة في مملكة البحرين وقد بدأت آخر هذه الحلقات مجددا منذ ثلاثة أعوام من خلال ما يسمى «الانتفاضة البحرينية» بقيادة الشيعة الذي سعوا لاستنساخ الانتفاضات التي حدثت في تونس ومصر وليبيا وبعض الدول العربية الأخرى.

لقد اختطف الفوضويون من الشباب الشيعي الراديكالي ودعاة حقوق الانسان الحراك الشعبي غير أنهم سقطوا جميعا في قبضة رجال الدين الشيعة الطاعنين في السن والذين تقف من ورائهم وتحركهم إيران، علما أن هؤلاء الملالي البحرينيين وإيران مهتمون بتكريس الهيمنة الدينية الطائفية اكثر من اهتمامهم بتحقيق التقدم الانساني.

لقد ظلت مملكة البحرين على مدى قرابة خمسين سنة تخطو خطوات هامة إلى الأمام على صعيد التنمية والاصلاح غير أن هذه الحركات الراديكالية والتدخلات الايرانية السافرة كانت دائما تعمد إلى عرقلة هذا المسار الاصلاحي والتنموي. ففي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين الماضي ظهرت في البحرين الحركتان الثوريتان الشيرازية والصدرية وقد كانتا عبارة عن مليشيات مؤدلجة وممولة مباشرة من إيران، لتظهر بعد ذلك الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين وهي كلها تحمل أجندات طائفية إقصائية بامتياز.

إن هذه الذهنية الطائفية هي التي ساهمت في بروز رجل الدين الشيعي عبدالأمير الجمري في فترة التسعينيات من القرن العشرين الماضي حيث انه كان يحمل أجندة سياسية شيعية خالصة ومتطرفة، استلهمها مباشرة من كتابات الخميني من أجل إعلان الحرب المقدسة على النظام الملكي في مملكة البحرين.

في سنة ٢٠٠١، أطلق الملك حمد بن عيسى آل خليفة ميثاق العمل الوطني إيذانا ببداية مسار واعد يرمي إلى مأسسة الديمقراطية في مملكة البحرين كما وعد بإرساء عهد جديد تتركز فيه الجهود على بناء نظام سياسي تقدمي وتكريس نظام حكم أكثر تشاركية.

لقد كان يؤمل أن تسهم تلك الخطوات الاصلاحية الهامة في تشجيع الراديكاليين على تبني مواقف ورؤى أكثر اعتدالا والانخراط بالتالي في الجهود الاصلاحية. في غياب اي اطراف سياسية شيعية معتدلة وبديلة استأثرت التيارات الشيعية المتطرفة، التي تحمل أجندة طائفية، تيوقراطية، راديكالية مدعومة وممولة من إيران بالساحة السياسية الشيعية على أرض البحرين.

تهيمن جمعية الوفاق وبقية الكتل الاسلامية على الساحة السياسية الشيعية وقد احتكروا – تقريبا – كل الأصوات الشيعية في الانتخابات التي خاضوها. لقد فشل هؤلاء المتطرفون الشيعة في فهم وحسن تمثيل قواعدهم ودوائرهم الانتخابية ذلك أن الأجندة التيوقراطية التي يحملونها ظلت عاجزة عن تلبية حقيقة مشاغل وهموم ناخبيهم أو تلمس احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية. لقد تجلى ذلك بكل وضوح سنة ٢٠٠٤ عندما رضخت جمعية الوفاق الاسلامية للفتوى الصادرة عن الشيخ عيسى قاسم والذي أفتى بحرمان النساء الشيعة من حقوقهن في الحصول على الحماية المدنية والقانونية اللازمة.

لقد تجلى عداء الأطراف الشيعية لكل إصلاح سياسي حقيقي مرة أخرى في رفضها تلك الاصلاحات التي تم تبنيها عبر مؤتمر «الوفاق الوطني» مؤخرا والتي من شأنها أن تعزز نظام الحكم التشاركي وتكرس الحوكمة وتعزز السلطة التشريعية.

إذا ما تمعنا جيدا في سجل البرلمان المنتخب في مملكة البحرين فإننا سندرك أن الأحزاب الاسلامية المتعطشة للسلطة تدعي من ناحية التمسك بالديمقراطية غير أنها تظل تعترض بشدة على أي مبدأ للتعاون البناء مع الحكومة من أجل تعزيز اسس ودعائم الدول الحديثة. لقد تبنت هذه الأطراف الدينية الراديكالية سياسات رافضة، خارج إطار المؤسسات الدستورية الشرعية وراحت تسعى بكل ما أوتيت من حيلة إلى عرقلة أي تقدم، حيث انها تتبنى خطابا صداميا ناريا وتعتمد أساليب تكتيكية متطرفة تقوم على العنف سعيا لإجبار المجتمع على الخضوع للأراء الفنتازية التيوقراطية التي يحملها آية الله البحريني والذي يستمدها مباشرة من مرجعيته الايرانية.

إن مثل هذه الإديولوجيات الراديكالية – التي لا تؤمن بأي ديمقراطية - تحجب رؤية الاعلام الغربي للقيم المدنية في المجتمع البحريني كما أنها تسعى لتقويض المجتمع التقدمي والتعددي والمبادئ والثوابت التي يتمسك بها النظام الحاكم في البحرين ويكرسها على أرض الواقع – اي العمل على مزيد تعزيز النظام الملكي الدستوري على أساس التمثيل النسبي – بعيدا عن أي ولاءات طائفية مقيتة.

في شهر يناير ٢٠١٤، أطلق ولي عهد مملكة البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة جولة جديدة من المحادثات العالية المستوى مع مختلف الأطراف المعارضة، وذلك في محاولة لإعطاء دفعة جديدة لجهود المصالحة الوطنية عقب تعليق حوار التوافق الوطني في السنة الماضية.

رغم الأصداء الإيجابية الدولية التي أثمرتها هذه المبادرة فإن ردود الأفعال الداخلية لا تزال حتى الآن محدودة من دون أن تقدم الأطراف المعارضة أي ضمانة لوقف مظاهر العنف والتخريب في الشوارع. أما التنظيمات الشيعية الأخرى المتطرفة – مثل ما يسمى ائتلاف شباب ١٤ فبراير – فقد أعلنت مقاطعتها لهذه المحادثات كما أنها نددت بمشاركة جمعية الوفاق الأمر الذي زاد في تعميق الانقسامات في صفوف المعارضة المنقسمة أصلا على نفسها.

في شهر ديسمبر الماضي كشف المسؤولون البحرينيون والأمريكيون عن سلسلة من العمليات الارهابية التي ثبت بما لا يدع اي مجال للشك التورط الإيراني في زعزعة أمن واستقرار مملكة البحرين والتدخل في شؤونها الداخلية. مع بداية الساعات الأولى ليوم السبت ١٥ فبراير ٢٠١٤ قتل أحد رجال شرطة البحرين في عملية تبنتها الجماعات الشيعية المتطرفة.

تجد مملكة البحرين نفسها اليوم تواجه عديد التحديات في سعيها للمضي قدما نحن تكريس قيم التقدم والحداثة. رغم ذلك يظل البحرينيون الذين تشربوا مبادئ الانفتاح والتقدم يأملون أن تتحقق طموحاتهم في بناء الدولة الحديثة وأن يدرك الاسلاميون الراديكاليون أن اجندتهم التيوقراطية تلحق الضرر بالدولة والشعب الذي يزعمون انهم يخدمونه زورا وبهتانا.

«نيويورك تايمز»

* سارة بن عاشور محللة سياسية مختصة في القضايا الخليجية كما أنها عضو مؤسس في منتدى الشؤون الخليجية ومقره لندن.

الملالي الشيعة البحرينيون تقف وراءهم إيران منذ عام ١٩٧٩ ويسعون لتكريس الهيمنة الدينية والطائفية

«الوفاق» والأطراف الشيعية ترفض أي مبادرة للإصلاح وتخضع لفتاوى عيسى قاسم الرافضة لإقرار حقوق المرأة

لعنة الطائفية تطول أسماء الناس والأماكن في العراق!

فتحت اجيال من العراقيين عيونها على شوارع سميت باسماء ساسة، او قادة، او رموز في الثقافة والفكر من غير ان يتوقفوا عند الهوية الطائفية لهؤلاء!

شارع السعدون مثلا يعد من بين اهم شوارع العاصمة بغداد يربط بين شارعي الرشيد والجمهورية شمالا والكرادة جنوبا!

هذا الشارع اشتق اسمه من المرحوم عبد المحسن فهد السعدون رئيس الوزراء العراقي السني سليل عائلة السعدون التي تتعرض اليوم للتهجير بسبب غلواء العنف الطائفي!

عبد المحسن السعدون الذي انتحر لاسباب يرى المؤرخون ان لها صلة باتفاقية ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا، ترك رسالة إلى ابنه علي يقول فيها: ولدي وعيني، ومستندي علي: اعفُ عني لما ارتكبته من جناية، لأني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذةً، وذوقاً، وشرفاً. فالأمة تنتظر مني خدمة، والإنكليز لا يوافقون، وليس لي ظهير. العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء وعاجزون، وبعيدون كثيراً عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير أرباب الناموس أمثالي. يظنون أني خائن للوطن، وعبد للإنكليز؟ ما أعظم هذه المصيبة!!، أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني، قد كابدت أنواع الاحتقارات، وتحملت المذلات مضضاً في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش بها آبائي وأجدادي مرفهين.

سليل عائلة السعدون السنية أسمى ابنه البكر (عليا، ولم يخطر بباله ان يكون لهذا الاسم دلالة طائفية بعد اكثر من ٧٠ عاما على انتحاره، اما الذين سرقوا تمثال السعدون بعد سقوط بغداد بيد المحتل الامريكي عام ٢٠٠٣ فانهم ارتكبوا فعل السرقة بدوافع الاستفادة من المواد الثمينة التي نحت منها التمثال وليس بدوافع طائفية مختبئة في الذاكرة الشعبية، او تحت وطأة نزعة من نزعات الانتقام والثأر كما ظهر في السنوات اللاحقة!

لعنة الطائفية التي تفشت في العراق طالت اسماء الشوارع والجامعات والمدارس، وصار لجانب الكرخ من بغداد مسميات تختلف عن تلك التي شاعت في جانب الرصافة باعتبار ان نسبة الشيعة في الرصافة هي الطاغية على عكس احياء الكرخ فان سكانها من غالبية سنية!

مجلس محافظة بغداد شكل لجنة لاعادة تسمية الشوارع بما يتناسب مع ظاهرة الفصل الطائفي التي لم يعرفها العراق عبر تاريخه الحديث الا في السنوات التي اعقبت الاحتلال!

نقل بيان لرئيس لجنة التسميات في مجلس محافظة بغداد ان لجنة التسميات انهت عملها لتغيير اسماء بعض الشوارع والجسور والساحات والتقاطعات والمجسرات، مشيرا إلى انه تمت مناقشة هذه التسميات التي تتناسب مع واقع العراق الجديد والعراقة والحداثة التي تحملها العاصمة بغداد. واورد البيان ضرورة عدم تكرار هذه التسميات في مناطق اخرى سواء كان في بغداد او الاقضية والنواحي.

رسالة بغداد من: د. حميد عبدالله

وعلى وفق بيان اللجنة فانه:

تم تغيير اسم الشارع الدولي المار من بغداد إلى كربلاء مرورا بمحافظة بابل باسم شارع الرياحين نسبة إلى ريحانتا رسول الله الحسن والحسين.

– وتغيير شارع المطار وتسميته باسم الشهيد محمد باقر الصدر نسبة إلى رجل الدين الشيعي الذي اعدمه صدام حسين مع شقيقته عام ١٩٨٠.

– وشارع السريع الرابط بين الدورة وبغداد الجديدة باسم محمد باقر الحكيم.

– وتقاطع الدورة جنوب بغداد باسم تقاطع المهدي.

– ونفق الشرطة الواقع غرب بغداد باسم نفق الثقلين.

ان اهم واوسع احياء بغداد، واكثرها اكتظاظا بالسكان، واعني به مدينة الثورة تغير اسمه ثلاث مرات، فمن (مدية الثورة) في زمن عبد الكريم قاسم الذي له الفضل الاول في تأسيس هذا الحي الذي اسكن فيه فقراء المدن العراقية الذين نزحوا إلى العاصمة بغداد، ثم تحول الاسم إلى (مدينة صدام) في مطلع ثمانينيات القرن الماضي تيمنا باسم الرئيس العراقي الراحل صدام حسين الذي اعاد اعمار المدينة وطورها بنحو مشهود، ثم تغير اسم الحي بعد الاحتلال ليكون مدينة (الصدر) نسبة إلى رجل الدين الشيعي محمد صادق الصدر الذي اغتيل في العراق عام ١٩٩٩.

بموازاة تبديل اسماء الشوارع والجسور والساحات ثمة حملة لتغيير اسماء المدارس في عموم العراق بما يتوافق مع المزاج الطائفي

عضو لجنة التربية والتعليم في محافظة العمارة فاطمة جاسم اعلنت ان مجلس محافظة ميسان ومن خلال لجنة التربية والتعليم فيه وبالتعاون مع مديرية تربية المحافظة بدأ حملة لتغيير اسماء بعض المدارس لان اغلبها تحمل اسماء لا (تليق بتاريخ العراق وشعبه وثقافة وطبيعة المدينة)!!! حسب تعبيرها!

اضافت ان الوجبة من الاسماء التي تم تغييرها في المحافظة شملت اسماء رموز شيعية من آل صدر وآل حكيم وأشارت جاسم إلى ان الوجبة الثانية من تغيير اسماء المدارس ستتم الاعلان عنها قريبا وستشمل ايضا اسماء لرموز وشخصيات دينية وتاريخية وثقافية وحضارية كان لها دور بارز في تأريخ العراق وشعبه!

وزارة التعليم العراقية وتحت ضغط من الاساتذة والطلبة استبدلت القاعات الدراسية في بعض الجامعات ونأت بها عن التسميات الطائفية واطلقت عليها اسماء علماء مرموقين واكاديميين عراقيين كبار!

المتحدث الرسمي باسم وزارة التعليم العراقية محمد جبار قال ان هيئة الرأي في الوزارة قررت في اجتماعها الذي عقد في جامعة البصرة تسمية القاعات الرئيسية الكبرى في الجامعات باسم (قاعة المناسبات الكبرى) وتسمية القاعات الرئيسية في الكليات تسمية علمية أو باسم احد العلماء الأكاديميين المتميزين من الجامعة أو الكلية، موضحا ان اختيار الاسم يتم من قبل مجالس الجامعات والكليات المعنية.

وأكد جبار، ان القرار لا يستهدف اي جهة سياسية، وجاء من اجل خلق بيئة اكاديمية وتربوية بحتة، لغرض تطبيق خطة الوزارة التي تؤكد عدم تسييس الجامعات العراقية.

○ شوارع المدن الرئيسية في العراق يعاد النظر في تسمياتها على أسس طائفية.

اما الاستاذ الجامعي علي العامري فيقول ان الجامعات العراقية تعد من اعرق واهم الجامعات على مستوى الدول العربية مضيفا ان المؤسسة التعليمية حافظت على رصانتها وعراقتها في أقسى الظروف، وخرّجت الاف العلماء الاجلاء بعضهم يعمل الان في افضل جامعات العالم مؤكدا ان الظرف الذي يعيشه البلد والازمات السياسية والامنية المتتالية يفرض على الاساتذة والطلبة وكل المتصدين للعملية التعليمية الابتعاد عن السياسة ومشاكلها، لأن البلدان لن تنهض الا في ظل تعليم مستقل.

ظل اسم الناقد الكبير علي جواد الطاهر واسم الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري واسم الدكتور مهدي الخزومي ومعروف الرصافي وصدقي الزهاوي والسنهوري وابراهيم كبة وغيرهم من الاسماء اللامعة في قاموس المعرفة العراقية ظلت منقوشة في واجهات القاعات الكبرى في الجامعات لكن قاعات اخرى نجحت النزعة الطائفية في اطاحة اسمائها السابقة والصاق اسماء ذات دلالات طائفية عليها!

اسماء المواليد الجدد تحولت هي الاخرى إلى محنة في العراق وخاصة في سنوات العنف الطائفي وتحديدا في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧

القتل كان يتم على الاسم وليس على الهوية، واطرف احصائية اصدرها معهد الطب العدلي في بغداد تقول ان ٧٥٠ من قتلى العنف الطائفي عام ٢٠٠٦ كانوا يحملون اسم عمر هم من الشيعة، واكثر من ٣ آلاف يحملون اسم علي وهم من السنة!!

نزعة القتل على الهوية دفعت الكثير من اهل السنة إلى تبديل اسماء بناتهم وابنائهم حفاظا عليهم من القتل، او للرحمة بهم في التعاملات اليومية سواء في المدرسة وغيرها.

فجأة تجد عائشة ان اسمها اصبح اروى او علياء او اي اسم محايد، واستيقظ عمر صباحا ليجد نفسه صهيبا أو احمد، وبالمقابل بدل علي اسمه إلى اسم جديد اذا كان من سكنة منطقة يطولها خطر والمتشددون الذين يقتلون على الاسماء والشعائر والطقوس!

ومع انحسار موجة الغلواء الطائفية اصدرت وزارة الداخلية العراقية قرار اوقفت فيه تبديل اسماء التلاميذ والمواليد في سجلات الاحوال المدنية في اشارة إلى ان زمن الفصل الطائفي قد افل وزال، الا ان الكثر من العائلات العراقية مازالت تبحث عن منفذ للحصول على اسماء جديدة لابنائهم وبناتهم تبعدهم عن شبح التمييز او الاقصاء او القتل في لحظة قد تعود فيه النزعة الطائفية تتلبس الطائفيين.